

# MAPPING COMMEMORATIVE CULTURES, BEST PRACTICES AND LESSONS LEARNED

**CASE STUDY: Lebanon**

**AUTHOR: Act for the Disappeared**

على غير ما هو الحال في البلدان التي تحتفل فيها شعوبها بنهاية الصراعات التي مروا بها، يحتفل الناس في لبنان باليوم الذي يصادف ذكرى بداية الحرب اللبنانية. يبدو أنه ما من تفسير لهذا الموقف الغريب حقاً سوى أنه ليس هناك نقطة حقيقية تدل على أن الحرب قد انتهت بالفعل. فعلى الرغم من توقف الصراع المسلح في البلاد في 13 تشرين الأول / أكتوبر 1990 مع سقوط حكومة العماد ميشيل عون، إلا أن حقيقة سيطرة نظام الأسد السوري على البلاد ولدت شعوراً مريراً لدى اللبنانيين، لينمو هذا الشعور على مر السنين و يتفجر في انتفاضة بعيد اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري أدت إلى انسحاب الجيش السوري من لبنان نهاية شهر نيسان / أبريل 2005. ورغم ذلك، لم تنته الحرب حينها، إذ وجد الشعب اللبناني نفسه الآن في حالة من عدم الاستقرار في مواجهة وضع غاية في الصعوبة، تمثل في اغتيال العديد من الشخصيات السياسية والفكرية، و إثارة اضطرابات في المخيمات الفلسطينية، و اندلاع أعمال عنف من قبل إسلاميين متطرفين. و أخيراً و ليس آخرًا، كانت هناك الحرب بين إسرائيل و حزب الله خلال صيف عام 2006. و حتى هذا اليوم، فإن الشعور السائد في البلاد بصورة عامة لا يوحي بأن الحرب في لبنان قد وضعت أوزارها، و الأزمة الحالية التي تدين الطبقة السياسية اللبنانية المنبثقة عن الحرب هي خير دليل على أن ما بدأ في 13 نيسان / أبريل 1975 لم ينته بعد.

## 1. خلفية تحليلية حول فترة العنف

تدور فترة العنف التي يتناولها هذا التقرير حول تاريخ بعينه، و هو 13 نيسان / أبريل 1975، حيث أن الأحداث التي وقعت في ذلك اليوم أدت إلى دوامة من العنف صحبتها أزمة سياسية في لبنان. فقد انتشرت موجات العنف الشديد التي شهدتها ضواحي بيروت بسرعة إلى أجزاء أخرى من البلاد، حول من خلالها رجال الميليشيات الأحياء المسالمة إلى مناطق قتال خطيرة، و جرّوا المدنيين فيها إلى حالة من الفوضى العارمة استمرت خمسة عشر عامًا و شكلت نقطة بداية للحرب في لبنان.

حتى بعد مرور 47 عامًا على مجريات يوم الأحد 13 نيسان / أبريل 1975 في حي عين الرمانة في بيروت، لا يزال ما حدث ذلك اليوم محطّ تساؤل و دهشة الكثير من اللبنانيين و الدارسين و المراقبين. ففي ظل غياب عملية إعادة بناء دقيقة للحقائق، تسود المشهد افتراضات مختلفة و أسئلة عديدة لا تجد لها إجابات شافية. و كما هو حال جميع التواريخ التي تم تحديدها لاحقًا كأساس للأحداث، فقد ترسخت الذاكرة الجماعية حول تاريخ 13 نيسان / أبريل 1975 لإعطاء نسخ متغيرة منها، و لم يخل الأمر أحيانًا من بعض الغموض. و سواء أكنّت في هذا المخيم أو ذلك، فإن تصور ما حدث ليس هو نفسه بطبيعة الحال.

في عددها الصادر بتاريخ 15 نيسان / أبريل 1975، نشرت جريدة النهار العناصر الأولية للتحقيق الذي أجراه المدعي العام صباح حيدر في جبل لبنان، و الذي تمكن من الوقوف على سلسلة من الأحداث من أربع مراحل، و التي تتضمن العديد من "المناطق الرمادية" و الحقائق التي تفتقد إلى الدقة، لا سيما فيما يتعلق بالإطار الزمني الذي وقعت فيه الأحداث المتتالية و الجهات الفاعلة المنخرطة فيها:

1. في وقت غير محدد، قاد أحد الفدائيين (من المقاتلين الفلسطينيين) سيارة جيب في عين الرمانة مرتين قبل أن يشتبك مع أحد الأشخاص هناك. كما أنه رفض الانصياع لشروط المرور الذي أمره بعدم التوقف و مواصلة رحلته. لكن البيان لم يقدم أي معلومات عن مكان وجوده.
2. بعد فترة من الوقت لم يتم تحديدها يصل رجل يعرف باسم منتصر ناصر إلى داخل سيارة فولكس فاجن قبل أن يقوم بعض المسلحين في عين الرمانة بإجباره على الخروج من سيارته و دفعه بقوة، مما تسبب في سقوطه أرضًا و إصابته بجروح بيده نقل على إثرها إلى مستشفى القدس، غير أن مصيره لا يزال مجهولاً.
3. و في لحظة غير محددة أيضًا، عبرت سيارة من طراز فيات 1500 كانت لوحتها مغطاة شارع مارون و على متنها خمسة مسلحين تبادلوا إطلاق النار مع عناصر مسلحة متواجدة في الشارع. لم يكن واضحًا من الذي بدأ في إطلاق النار أولاً، حيث أن المدعي العام لم يتمكن من تحديد مصدر الطلقات، لكنه أعد قائمة موجزة بالضحايا و ذكر اسم شخص واحد فقط، هو جوزيف أبو عاصي، (أحد الحراس الشخصيين لزعيم حزب الكتائب الشيخ بيبر جميل، لكن التقرير يغفل ذكر ذلك) و الذي قُتل مع عدد من الأشخاص الآخرين الذين

## هذا مشروع تابع للمبادرة العالمية للعدالة والحقيقة والمصالحة.

تم إطلاق المبادرة العالمية للعدالة والحقيقة والمصالحة في عام 2014 من قبل التحالف الدولي لمواقع الضمير، وهو اتحاد من تسع منظمات دولية تركز على تقديم مناهج شاملة و متكاملة و متعددة التخصصات لقضايا الحقيقة و العدالة و المصالحة. تعمل المبادرة العالمية للعدالة والحقيقة والمصالحة بشكل أساسي مع السكان المحليين، و منظمات المجتمع المدني، و الناجين، و الحكومات لتطوير مناهج العدالة الانتقالية التي تتمحور حول الضحية و تعاونية و تدعم الكرامة و الاحترام و الإدماج و الشفافية في المجتمعات الخارجة من الصراع أو فترات الحكم الاستبدادي. شاركت المبادرة العالمية للعدالة والحقيقة والمصالحة منذ تأسيسها مع أشخاص من 72 دولة، و عمل مع 681 منظمة من منظمات المجتمع المدني، و أنجزت 323 مشروعاً مجتمعياً و أكثر من 5040 مبادرة لانتهاك حقوق الإنسان.

[gijtr.org](http://gijtr.org)



**GIJTR**

Global Initiative for Justice  
Truth & Reconciliation

كانوا في الشارع. و قد أصيب أحد ركاب السيارة، الفدائي أحمد الطويل، و هو لبناني من كفر كيلا في جنوب لبنان، و نقل إلى مستشفى القدس. و كما هو حال الآخرين، لا يعرف ما حدث له بعد ذلك.

4. في الساعة 11:45 صباحاً مرت حافلة قادمة من مقبرة الشهداء باتجاه منطقتي الدكوانة و تل الزعتر، و على متنها 29 فدائياً، بجانب أحد الدوريات التي أشارت إليها بالتوقف، لكنها لم تمتثل. فقام رجال مسلحون بالتصدي لها و محاصرتها. لكن التقرير لا يذكر أي تفاصيل عن هؤلاء المسلحين، و لا تزال هويتهم و المكان الذي أتوا منه غير معروفين. ثم نزل عدد من الفدائيين من الحافلة قبل أن يتعرضوا لإطلاق نار، إذ تم استهدافهم و استهداف الحافلة نفسها. نجا من بين الركاب اثنان فقط، هما شريف زيدان دخول و عبد الله علي علوش. و لا يُعرف ما إذا كان عدد القتلى 26 أو 27، حيث أشار بيان منظمة التحرير الفلسطينية إلى 26 ضحية، بينما تحدث ياسر عرفات، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، في برقية أرسلها إلى الملوك و الرؤساء العرب عن 27. و قد تم الحديث عن وفاة أحد المصابين بجروح خطيرة دون تصريح بشأنه. كما قيل أن عدداً من الفدائيين كانوا داخل الحافلة مما لفت الأنظار.

نُشر تقرير المحامي العام بعد يومين من الأحداث، بعدما بدأت للتوّ روايات أخرى بالانتشار. و بالفعل، سارعت الأطراف المختلفة في الساعات التي أعقبت الأحداث، سواء كانت منخرطة فيها أم لا، سارعت للتعبير عن نفسها، حيث عبر كل منها عن روايته للحقائق.

و هكذا اجتمعت الحكومة اللبنانية مساء 13 نيسان / أبريل و أصدرت بلاغاً تلاه وزير الإعلام محمود عمار. و يؤرخ النص بدء الأحداث في الساعة 11:00 صباحاً، مشيراً إلى واحدة فقط من المشاجرتين الأوليين اللتين ذكرهما تقرير المدعي العام، دون تحديد ما إذا كان سائق السيارة الجيب أو الفولكس فاجن هو من تسبب بها. ثم أشار إلى مرور سيارة فيات دون أن يأتي على ذكر هوية المسلحين المنتشرين في الشارع و الذين تبادلوا إطلاق النار مع ركاب السيارة. كما أنه لم يذكر سوى ضحية واحدة، هي جوزيف أبو عاصي، و التي تم تقديمها ببساطة على أنها "لبنانية". لم يحدد بيان الحكومة وقت مرور الحافلة أو مصدرها، كما أن التعبير عن حادثة القتل الأساسية هو في صيغة المبني للمجهول و عدد الضحايا هو 22، و هو يعتبر تقديراً معقولاً في وقت كانت فيه الحقائق حديثة للغاية لا يمكن معها تحديد عدد الضحايا بدقة. و تؤكد الحكومة اللبنانية أن القوات الأمنية تعمل على احتواء الحادث، و أنها تسعى بنشاط إلى ملاحقة و اعتقال "الجناة و المحرضين" الذين لم يتم التعرف عليهم بعد.

و في برقيته التي أرسلها إلى الملوك و الرؤساء العرب في اليوم ذاته، حدد ياسر عرفات الجناة و دوافع الهجوم الذي قال أنه استهدف حافلة تقل مدنيين بينهم نساء و أطفال. أما الجناة فهم "عصابات حزب الكتائب المسلحة" التي عملت في إطار مؤامرة امبريالية و صهيونية لزرع الفتنة بين الشعبين اللبناني و الفلسطيني. و يدعو عرفات صراحة رؤساء الدول العربية إلى التدخل في لبنان من أجل "إفشال هذه المؤامرة" و دفع السلطات اللبنانية إلى قمع "عصابات الكتائب". و من الواضح تمسك زعيم منظمة التحرير الفلسطينية بجزئية إطلاق النار على الحافلة و طرح فكرة أن الضحايا هم من المدنيين و النساء و الأطفال على وجه الخصوص، مما يبرز النبذة الدرامية للبرقية.

في رواية الأحداث التي أصدرها حزب الكتائب بصوت زعيمه بيير جميل تفاصيل الظروف التي حدثت فيها المأساة. و تفيد الرواية بأن مراسم دينية قد أقيمت في ضاحية عين الرمانة المسيحية، حيث اجتمع السكان لافتتاح كنيسة، مما يوحي بأنهم كانوا فقط من المصلين المسالمين و العزل. كما تشير شهادة بيير جميل إلى سيارة "الفولكس فاجن" و التي قدّرت وقت عبورها في الساعة 11:00 صباحاً. ثم ذكرت انفجار سيارة "الفيات" "بعد لحظات قليلة"، و التي كانت تنطلق مسرعة و على متنها أربعة رجال مسلحين، تليها الحافلة التي كانت تقل بدورها 20 مسلحاً. و بحسب بيير جميل، فإن ركاب سيارة "الفيات" هم من أطلقوا النار على "مجموعات

المؤمنين"، مما أسفر عن مقتل البعض و جرح البعض الآخر، بمن فيهم جوزيف أبو عاصي و أنطوان ميشيل الحسيني، و هو عضو آخر في حزب الكتائب. كما أطلق ركاب "الفولكس فاجن" النار على الحشد قبل أن يتواروا عن الأنظار في عربتهم. و لم يرد ذكر لإطلاق النار على الحافلة بحسب رواية زعيم الكتائب. و تبين أن مالك سيارة "الفولكس فاجن" هو منتصر أحمد منتصر.

اجتمعت القوى و الأحزاب الوطنية و التقدمية المعروفة باسم الحركة الوطنية اللبنانية، و التي لم تكن موجودة في مسرح المأساة، "بشكل عاجل" وفق شروط البيان الصادر في ختام هذا الاجتماع، و وصفت الواقعة بأنها "مذبحة" كانت ستودي بحياة أكثر من 25 "شهيداً"، جميعهم "مدنيون" فلسطينيون. فبالنسبة لهم، كما بالنسبة لياسر عرفات، فإن المسؤول عن هذه المجزرة هم "عصابات الكتائب"، و ذلك في إطار "مؤامرة استعمارية صهيونية" تستهدف النيل من المقاومة الفلسطينية و الحركة الوطنية اللبنانية. و تلبية لطلب ياسر عرفات في برقيته التي وجهها إلى رؤساء الدول العربية، تدعو الأحزاب و القوى الوطنية و التقدمية الدولة اللبنانية لتضرب حزب الكتائب "بقبضة من حديد".

لقد كان جلياً أن ما حدث في عين الرمانة كان ضبابياً منذ اليوم الأول، فقد أثر ذلك في المراحل اللاحقة من خلال زيادة الارتباك و التشجيع على ظهور الروايات المختلفة على مر السنين، كما سنرى في ما يلي.

## 2. الروايات الرسمية / السائدة و روايات الضحايا و الناجين حول أحداث 13 نيسان / أبريل 1975

كانت الحرب و تداعياتها في لبنان من بين المواضيع التي لم يتم التطرق إليها بعد "إنهاء" الصراع بشكله العسكري. فقد امتنعت الدولة في لبنان عن التعامل مع الحرب و تجنبت الخوض في مسألة "من فعل ماذا و لصالح من". كما لم يكن التعامل مع الصراع ضرورياً لتحقيق أهدافها، بل كان من الممكن أن يعرقلها، حيث أن إثارة الماضي الذي من شأنه أن يوجب التوترات بين الطوائف هو هزيمة للذات، لأن القادة اللبنانيين في حقبة ما بعد الحرب هم ذاتهم أمراء الحرب الذين كانوا يعطون الأوامر للميليشيات أيام الحرب.

و يتجلى الشعور بعدم الرغبة في الانخراط في الحرب في إرادة غير معلنه تم تصميمها لتسمح لذكرياتها بأن تتلاشى شيئاً فشيئاً. فقد أدى هذا السلوك إلى خلق فراغ كانت مجموعات المجتمع المدني في البلاد حريصة على ملئه. كما كان رفض القادة اللبنانيين قبول النزاع واضحاً في جهودهم لإحياء الذكرى. فامتنعت الدولة عن إحياء ذكرى الصراع. و في أواخر التسعينيات، أجاب وزير الداخلية ميشيل المر عندما سئل عن إمكانية إنشاء نصب تذكاري للحرب في لبنان بأن الجيش اللبناني كان لديه نصب تذكاري بالفعل. و لدى سؤاله عن المدنيين، أجاب بأن الجيش يمثل الأمة.

أما في عام 2005، و بعد شهرين من اغتيال رئيس الوزراء الراحل رفيق الحريري، أي في الوقت الذي كان يتم فيه انسحاب الجيش السوري من لبنان، بدت ذكرى الحرب مختلفة في عيدها، حيث أحدثت الاغتيال صدمة كبيرة أدت إلى عودة تداول مفاهيم كالمسؤولية و الحقيقة و الجريمة و العقاب. و عندما طالبت أهالي المفقودين بإعلان ذكرى اندلاع الحرب، أي 13 نيسان / أبريل، كـ "يوم الذكرى و المفقودين"، بدا الأمر و كأنه تحد مباشر للمؤسسة السياسية، حيث رفض بعض الأعضاء الدعوة إلى إحياء ذكرى أعمال العنف المحلية، على عكس الخارجية منها. و كما قال أحد النواب: "النصب التذكاري الوحيد الذي سنبنيه سيكون نصب المقاومة ضد إسرائيل، و لن يكون هناك سواه".

### 3. الاحتفال بتاريخ 13 نيسان / أبريل على المستوى العام ؟

إن جهود إحياء ذكرى الحرب الأهلية في لبنان لا تتم بصورة رسمية، و إنما تحيي بعض الأحزاب السياسية ذكرى يوم 13 نيسان / أبريل بشكل مستقل، في حين يكتفي البعض الآخر بإلقاء الخطابات في الفعاليات التي تقوم بتنظيمها منظمات المجتمع المدني. و في عام 2005، تحول شعار "حقنا نعرف" الذي رفعته لجنة أهالي المخطوفين و المفقودين، و هي منظمة أنشأتها أسر المفقودين في 25 تشرين الأول / أكتوبر 1982، من شعار محصور في دوائر ضيقة إلى شعار راح يتردد صدها بصوت عالٍ في طول البلاد و عرضها. ففي 13 نيسان / أبريل من ذلك العام، وقع "حدث تاريخي" كما وصفته جريدة النهار عندما اجتمع ممثلو ست عشرة طائفة لبنانية أمام المتحف الوطني الذي كان خط تماس و منطقة شهدت العديد من المآسي خلال الحرب المصيرية، ليؤدوا الصلاة معاً و يهتفون بصوت واحد من أجل الوحدة و السلام.

بعدها بأربع سنوات، في عام 2009، و في نفس المناسبة، حضر زياد بارود، وزير الداخلية و البلديات، ممثلاً عن رئيس الجمهورية ميشيل سليمان في حفل تم الإعلان فيه عن إنشاء نصب تذكاري وطني مشترك تكريماً لذكرى ضحايا الحرب. كما تمت الإشارة إلى أن النصب التذكاري سيتم تنفيذه بفضل تعاون بلدية بيروت مع سوليدير، و هي شركة لبنانية مساهمة كانت مسؤولة عن تخطيط و إعادة تطوير وسط بيروت خلال التسعينيات، و ذلك وفق شروط تتبنى تصميمًا يسمح بإدراج أسماء الضحايا. إلا أن إنشاء هذا النصب فشل بسبب التوترات حول الضحايا الذين سيتم إدراج أسمائهم.

في عام 2010، التقى بعض الساسة اللبنانيين بقيادة رئيس الوزراء سعد الحريري على ملعب المدينة الرياضية في بيروت في مباراة كرة قدم نظمت في الذكرى 35 لاندلاع الحرب الأهلية، و ذلك تعبيراً عن الإرادة و توفر الرغبة في العمل سوية لما فيه مصلحة البلاد، بغض النظر عن الانتماءات السياسية. و قد أقيمت المباراة التي حملت شعار "كلنا فريق واحد" كمبادرة من وزارة الشباب و الرياضة و اللجنة البرلمانية للشباب و الرياضة.

أما مؤخرًا في عام 2019، و قبل أشهر قليلة من أحداث 17 تشرين الأول / أكتوبر، افتتح حزب الكتائب "متحف الاستقلال" في جونية، و هي بلدة تقع شمال بيروت، في قلب ما كان يُعرف بالمنطقة المسيحية خلال الحرب. و أشار الأمين العام للحزب نزار نجاريان في إحدى المقابلات إلى أن فكرة إقامة احتفال مركزي كانت قائمة منذ فترة، حتى أنهم أرادوا تخصيص يوم لاستذكار "الشهداء الأبطال" الذين ضحوا بأرواحهم من أجل لبنان. و هكذا قرروا أن يكون يوم 13 نيسان / أبريل يومًا مناسبًا لتكريم ذكرى هؤلاء الشهداء، لأنه يجسد بداية الحرب و سقوط أول شهيد من الكتائب، جوزيف أبو عاصي. و بحسب رواية حزب الكتائب المنشورة على موقعهم على الإنترنت، فقد سقط خلال حادثة الحافلة في عين الرمانة حيث فتح ركابها النيران بكثافة أمام الكنيسة يوم افتتاحها من قبل الرئيس المؤسس لحزب الكتائب، بيير جميل. و يوضح هذا كيف أن قيادة الحزب أعطت الأولوية لسردية انتصارهم البطولي أو معاناتهم على حساب الضحايا الذين لا يعتبرونهم "جزءًا منهم" أو يعدونهم خارج مجموعتهم. لكن هذا يشوه الماضي و يستبعد بعض الفئات الاجتماعية "الأخرى". و يمكن للمرء أن يلاحظ بعد حفل افتتاح المتحف أيضًا أن أحدًا من الأطراف المتنازعة لم يدخل في نقاش مع حزب الكتائب، ما يوضح كيفية تجنب الصراع.

#### 4. الاحتفال بهذا التاريخ أو الحدث المهم على المستوى المحلي من قبل مجتمعات الضحايا و الناجين، و الجمعيات التي تركز على الضحايا و الناجين، و منظمات المجتمع المدني

يتسم المجتمع المدني في لبنان بالتنوع الشديد و يضم جهات فاعلة تنشط في مجالات عديدة. و لقد حاول أعضاء من بعض المنظمات الخاصة إثارة نقاش عام حول الحرب، و مارسوا ضغوطاً من أجل قضايا محددة تتعلق بها، كما عقدوا ندوات و مؤتمرات و ورشات عمل، و أنشأوا مواقع على الانترنت مخصصة للحرب حتى تكون بمثابة عملية "افتراضية" لإحياء الذكرى، و لا سيما بعد طلب إنشاء النصب التذكارية الرسمية. فكل هؤلاء الفاعلين حاولوا إحياء ذكرى الحرب بتاريخ 13 نيسان / أبريل بطريقة غير رسمية و من خلال ممارسات مختلفة.

فعلى سبيل المثال، نظمت جمعية **Offrejoie** التي تأسست عام 1985 على يد مجموعة من المتطوعين الشباب من جميع الطبقات الاجتماعية و الطوائف الدينية بالتعاون مع وزارة التربية و التعليم و جمعيات أخرى و عدد من المدارس الحكومية و الخاصة أنشطة مختلفة بعنوان "السلام على لبنان". و في 13 نيسان / أبريل 2010، طُلب من جميع المدارس أن تبدأ يومها برفع العلم اللبناني و ترديد النشيد الوطني، إضافة إلى ترتيل بعض الصلوات و الأدعية المشتركة من أجل حماية لبنان و منع تكرار الحرب. كما كانت هناك أنشطة تشجع أطفال المدارس على رسم مشاهد من التراث اللبناني على جدران طريق دمشق التي لا تزال تحمل آثار الحرب، بالإضافة إلى حملة تشجير حرش بيروت، و هي غابة الصنوبر التي تقع على أطراف المدينة. و قد تم تخصيص مجموعة من الطلاب خلال اليوم لتسليط الضوء على أهمية تعزيز السلم الأهلي من خلال لعبة لعب الأدوار التي أعدها التربويون حول هذا الموضوع.

و للتذكير بالمفقودين أيضاً، قامت جمعية أمم للتوثيق و الأبحاث (و هي منظمة غير ربحية أسسها لقمان سليم في 2004 لرفع مستوى الوعي بالعنف الأهلي و ذكريات الحرب في لبنان) بافتتاح معرض للصور وسط بيروت تضمن صور أشخاص اختطفوا أو فقدوا إبان الحرب، و ذلك تحت عنوان "... راحوا و ما رجعوا". كما تضمن المعرض مجموعة صور من الحرب اللبنانية، على أساس مبدأ "عين ع اللي راح و عين ع اللي جاي"، بحسب المنظمين.

و في 13 نيسان / أبريل 2008، نظمت مسيرة في أنحاء العاصمة بيروت تحت عنوان "وحدتنا خلاصنا"، و ذلك على طول خطوط التماس و المباني القديمة التي لا تزال تحمل آثار ذلك اليوم الأسود. و قد غاب ممثلو الأحزاب السابقة في الحرب عن هذه المسيرة. أما في 13 نيسان / أبريل 2009، فقد أحييت لجنة أهالي المخطوفين و المفقودين في لبنان ذكرى ذلك اليوم بإضاءة الشموع إحياءً لذكرى 17000 من المخطوفين و المفقودين و جميع ضحايا الحرب.

## 5. الاحتفال بتاريخ 13 نيسان / أبريل 1975 على مستوى جمعية "لنعمل من أجل المفقودين"

لنعمل من أجل المفقودين جمعية حقوقية لبنانية تأسست عام 2010 على يد مجموعة من الناشطين المستقلين الشباب. تتمثل مهمة الجمعية في المساهمة في توضيح مصير المختفين قسرًا و المفقودين في الحرب الأهلية اللبنانية، و دعم العائلات خلال عملية بحثها عن ذويها، و العمل على تعزيز عملية مصالحة مستدامة. و بينما تدعو الدولة إلى النسيان و طي صفحة الماضي، تسعى جمعية لنعمل من أجل المفقودين نحو هدفها الذي يتجلى في منع تشويه الماضي من خلال التصدي للنسيان و مقاومة فقد الذاكرة، و ذلك بتنفيذ مشاريع تخليد الذكرى و العمل البحثي و التوثيقي. و هكذا فقد بدأت الجمعية بإحياء ذكرى 13 نيسان / أبريل بطرق مختلفة و متنوعة.

ففي 13 نيسان / أبريل 2016، و تكريمًا منها للأشخاص المفقودين و المختفين و إسهامًا في تكوين فهم أفضل للنزاع، أنشأت جمعية لنعمل من أجل المفقودين النصب التذكاري الافتراضي "فسحة أمل"، حيث يتم جمع المعلومات حول الأشخاص المفقودين و يتم تخصيص مساحة لكل منهم عبر نصب تذكاري رقمي يعرض معلومات حول سيرهم الذاتية و صورًا و معلومات عن ظروف اختفائهم "في حال توفرها". و من خلال القيام بذلك، تهدف الجمعية إلى المطالبة بهويات الأشخاص المفقودين و استعادة مكانهم الشرعي كأعضاء في المجتمع، بينما توفر جسرًا بين الأسر و العائلات التي لا تمانع مشاركة تجاربها الشخصية مع المواطنين الآخرين، بالإضافة إلى تشكيل مزيد من الضغط على السلطات لإعداد قائمة بالمختفين.

و في 13 نيسان / أبريل 2017، أطلقت الجمعية مشروع "الكراسي شاغرة و الأسر ناظرة"، وذلك بالشراكة مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر. يسمح هذا المشروع لأفراد من عوائل المختفين تصميم و طلاء الكراسي و الرسم عليها لاستذكّار كل شخص مفقود. و ترمز تلك الكراسي إلى المساحات الفارغة التي تركها المفقودون وراءهم، حيث يمثل كل واحد منها عملاً إبداعياً لإحدى العائلات – رغم أن معظم المشاركين لم يلمسوا يوماً فرشاة طلاء أو رسم – و يعكس شخصية الشخص المفقود و ذكريات ذويه عنه. و قد تم تجميع و بناء هذه الكراسي خلال جلسات جماعية سمحت للعائلات بمشاركة معاناتها مع الآخرين ممن مروا بتجارب مماثلة و تحويلها إلى تعبير فني هادف و مفيد. كما وفرت الكراسي للعائلات طريقة لتكريم أحبائهم من المفقودين و التعبير عن نفسها للمجتمع من خلال الفن.

و في 13 نيسان / أبريل 2018، أطلقت الجمعية خريطة للذاكرة في محاولة منها لخلق مساحة تمكّن أي شخص من مشاركة قصته و المساهمة في تسليط الضوء على ماضي لبنان المؤلم. يمكن لزوار هذه الخريطة التعرف على الأحداث الرئيسية للحرب اللبنانية و مشاهدة ذكريات الناس أو الاستماع إلى تجاربهم حول الصراعات في لبنان. و تهدف هذه الجهود قبل كل شيء إلى تمهيد الطريق أمام اللجنة الوطنية، و التي تأسست ولايتها بعد إصدار القانون 105 حول المفقودين و المختفين قسرًا للتحقيق في مصير الاختفاء. كما قامت الجمعية في إطار الحملة ذاتها بإعداد و إنشاء شخصيات ثلاثية الأبعاد تمثل المختفين في 35 مكانًا مختلفًا في بيروت و الضواحي التي تم فيها اختطاف الأشخاص. و قد حملت كل واحدة من هذه الشخصيات الرسالة التالية: "هناك أشخاص اختطفوا هنا. و قد حان الوقت لمعرفة مصيرهم، أينما كانوا".

في ختام هذا التقرير، يمكننا تسليط الضوء على نقاط الضعف و أوجه القصور في العمل الذي تم القيام به نيابة عن القادة السياسيين الرسميين أو شبه الرسميين. و تظهر النتائج التي توصلنا إليها أنه لا تزال هناك حرب خفية تدور حول إرث الحرب فيما بين أولئك الذين تربعوا على عرش السلطة خلال الثلاثين عامًا الماضية. و رغم أنهم يمثلون الدولة، إلا أنهم فشلوا في جهودهم التذكارية، و بالتالي أحدثوا المزيد من الانقسام الذي أدى إلى تعميق الفجوة بين السرديات و الروايات المتعارضة و صعّب من مهمة اللبنانيين للتوفيق فيما بينهم، لأن "الأخر" يبقى عدوًا. و يتجلى أحد المظاهر الرئيسية لهذا الوضع في استمرار ضعف وزارة التربية و التعليم في تطوير منهاج من شأنه أن يعزز الانتماء الوطني و التوحيد في مجالات التاريخ و التعليم الوطني. فحتى الآن، تميل كتب التاريخ المدرسية إلى تقديم سردية غير متكاملة و مبتورة للأحداث، حيث تتوقف جميعها عند بدايات الخمسينيات من القرن الماضي. أما من الناحية الرسمية، فيبدو الأمر و كأن شيئًا لم يحدث في لبنان منذ ذلك الحين، ما يفسر إحباط أجيال من الشباب اللبنانيين المحرومين من نظام تعليم مناسب كان من شأنه أن يتفهم بماضيهم.

أما بالنسبة للفاعلين من أبناء المجتمع المدني، و الذين سعوا جادًا في سبيل الجهود التذكارية، فقد تعهدوا بالحفاظ على ذاكرة الحرب حية من خلال تحدي فكرة "فقد الذاكرة الجماعي" و إشراك الشباب الذين لن يكون لهم سبيل آخر لمعرفة تاريخهم في جميع ممارساتهم. و من خلال إصرارها و تمسكها بإحياء ذكرى الحرب، سعت منظمات المجتمع المدني إلى تأكيد وجودها من خلال ما تبذله من جهود لدفع الحكومة لإجراء التحقيقات و الكشف عن مصير المفقودين و المختفين قسرًا.

و في تشرين الثاني / نوفمبر 2018، أدى الكفاح الطويل لأسر المفقودين و المختفين قسرًا في نهاية المطاف إلى إصدار قانون المفقودين و المختفين قسرًا (القانون 105/2018). يعترف هذا القانون بصورة قانونية بـ "الحق في المعرفة"، و يصادق علنًا على وضع المختفين و يحدد رسميًا مهمة اللجنة الوطنية. لكن و بعد مضي أربع سنوات، لا تزال هذه اللجنة غير مفعلة عمليًا بسبب نقص الموارد و عدم توفر الميزانية. و خلأًا لهذه اللجنة، يبدو أن الفاعلين في المجتمع المدني لديهم و فرة أكبر، إلا أنهم لا يستطيعون تعويض نقص العمل الحكومي، كما يبدو أن عملهم يفتقر إلى التنسيق و الفعالية. فعلى سبيل المثال، أقامت منطمتان من منظمات المجتمع المدني في 13 نيسان / أبريل 2005 أنشطة تذكارية مميزة في أوقات مختلفة من اليوم، و في نقاط و أماكن مختلفة في قلب مدينة بيروت، حيث أعدت إحدى المنطمتين أنشطة حول المتحف الوطني، حيث تجتمع الشباب من مختلف المناطق لجعل هذا الموقع خط تواصل بدلًا من كونه خط ترسيم سابق. و عندما حلّ الليل من نفس ذلك اليوم، أضاءت لجنة أهالي المخطوفين و المختفين مع طلبة الحزب الشيوعي الشموع تخليدًا لذكرى المفقودين في ساحة الشهداء. و لعل هذا النقص في التنسيق يعبر عن الانطباع بأن اللبنانيين ما زالوا منقسمين. لذلك، فإن تنسيق الجهود أمر بالغ الأهمية. كما ينطبق الأمر ذاته على تبادل المحفوظات و المواد الأرشيفية، حيث تقوم العديد من المنظمات بتوثيق الحرب و المفقودين، إلا أنهم يفشلون في توحيد جهودهم و تحقيق أقصى استفادة من هذه الوثائق.

في ضوء ما سبق، لا يمكن أن تتم المصالحة المجتمعية ما لم يتم وضع الأساس لعملية تعافٍ جماعية. و لهذا الغرض يتم تنفيذ ممارسات مختلفة من قبل منظمات المجتمع المدني على النحو التالي:

- مبادرات التوثيق البحثي التي تركّز على أحداث و مواقع الحرب الأهلية اللبنانية، و التي يمكن أن تسهم في فهم الصراع و تساعد في الكشف عن مصير و أماكن وجود المفقودين و المختفين قسرًا. و يعتبر هذا العمل مهمًا للغاية لتمهيد الطريق أمام عمل اللجنة بمجرد تفعيلها، و قد يكون مفيدًا في المستقبل لنشر كتب



تاريخية. و قد أنشأت لجنة أهالي المخطوفين و المفقودين في لبنان أرشيفاً للمفقودين من منظور المختفين و عائلاتهم. و يصرح مؤسس اللجنة و داد حلواني بأنه ”في حال فشلت عائلات المخطوفين و المختفين في العثور على جثث أو رفات أحبائهم، فإن الأرشيف سيؤكد على الأقل وجود هؤلاء الأفراد. فحتى لو تمكنت الدولة من قمع الأفلام و الدراسات و البيانات و الأنشطة التي تسلط الضوء على الحقائق التي تريد إخفاءها و دفنها في الماضي، فلن تتمكن من قمع أو حذف هذا الأرشيف – أو دفنه كما فعلت بجثث المختفين“.

- حوار مفتوح مع الشباب حول الحرب، ليس من أجل استذكار الماضي، و إنما لاستخدام المعرفة بتجاربه لتجنب تكرارها. فعلى سبيل المثال، و رغبة منها في التخفيف من التأثير المزعزع للاستقرار للانتهاكات الماضية و الحديثة، و التأكد من مراعاة العمليات للصدمة النفسية عبر الأجيال، قامت جمعية لنعمل من أجل المفقودين بمبادرة استشارية للسماح للبنانيين من مختلف الأجيال بالتحدث بصوت مسموع و فهم وجهات نظر الآخرين بشكل أفضل. لذلك فإن القيام بمشاركة القصص و الخبرات و المشاعر من شأنه أن يضع حدًا للانقسامات بين الأجيال و يزيد من الوعي بالماضي و يمنع تكرار العنف.

و كما هو حال جميع مجتمعات ما بعد الصراع، يخوض لبنان رحلة صعبة للتعامل مع ماضيه. و بهذا فإنه ينضم إلى دائرة الناس و المجتمعات التي تعاني في جميع أنحاء العالم بحثًا عن الحقيقة و المصالحة و السلام.

1 جريدة النهار، 13 نيسان / أبريل 1975

2 جريدة النهار، 13 نيسان / أبريل 2005

3 جريدة النهار، 13 نيسان / أبريل 2009

4 جريدة النهار، 13 نيسان / أبريل 2010

5 <https://kataeb.org>/نجار يان-ل-يوم-الشهيد-محطة-عز-وشرف-

[و عنفوان-لاستذكار/2019/04/12/خاص/أخبار](https://kataeb.org)

6 جريدة النهار، 13 نيسان / أبريل 2010

7 جريدة النهار، 13 نيسان / أبريل 2010

8 جريدة النهار، 13 نيسان / أبريل 2008

9 جريدة النهار، 13 نيسان / أبريل 2009

10 و داد حلواني، ”الذاكرة الجماعية و فقد الذاكرة بعد الحرب

في لبنان“، 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2020. [https://www.](https://www.brookings.edu/opinions/collective-memory-and-amnesia-after-the-war-in-lebanon)

[brookings.edu/opinions/collective-memory-and-amnesia-after-the-war-in-lebanon](https://www.brookings.edu/opinions/collective-memory-and-amnesia-after-the-war-in-lebanon)



**GIJTR**

Global Initiative for Justice  
Truth & Reconciliation